

تفسير ابن كثير

يخبر تعالى عن ابن آدم أنه كلما طال عمره رد إلى الضعف بعد القوة والعجز بعد النشاط كما قال تبارك وتعالى : { إِنَّمَا الَّذِي خَلَقْتُم مِّنْ ضُعْفٍ ثُمَّ جَعَلْتُمْ مِّنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضُعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ } وقال د : { وَمِنْكُمْ مَنْ يَرُدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لَكِيَّا يَعْلَمُ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا } والمراد من هذا - وإنما أعلم الإخبار عن هذه الدار أنها دار زوال وانتقال لا دار دوام واسقرار ولهذا قال د : { أَفَلَا يَعْقُلُونَ } أي يتذكرون بعقولهم في ابتداء خلقهم ثم صيرورتهم إلى سن الشيبة ثم إلى الشيخوخة ليعلموا أنهم خلقوا لدار أخرى لا زوال لها ولا انتقال منها ولا محيد عنها وهي الدار الآخرة .

وقوله تبارك وتعالى : { وَمَا عَلِمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ } يقول د مخبرا عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أنه ما علمه الشعر { وَمَا يَنْبَغِي لَهُ } أي ما هو في طبعه فلا يحسنه ولا يحبه ولا تقتضيه جبلته ولهذا ورد [أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يحفظ بيته على وزن منتفط بل إن أنسده زحفه أو لم يتمه] وقال أبو زرعة الرازي : حدثنا إسماعيل بن مجالد عن أبيه عن الشعبي أنه قال : ما ولد عبد المطلب ذكرا ولا أنتي إلا يقول الشعر إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره ابن عساكر في ترجمة عتبة بن أبي لهب الذي أكله الأسد بالزرقاء .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا أبو سلمة حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن الحسن هو البصري قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت :

(كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهيا ...) .

فقال أبو بكر بـه : يا رسول الله .

(كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا ...) .

قال أبو بكر أو عمر بـهما : أشهد أنك رسول الله يقول تعالى : { وَمَا عَلِمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ } وهكذا روى البيهقي في الدلائل [أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن مرداس السلمي بـه أنت القائل :

(أَتَجْعَلُ نَهْبَيْ وَنَهْبَ الْعَبْدَ بَيْنَ الْأَقْرَعِ وَعَيْنَةَ ...) .

فقال : إنما هو عيينة والأقرع فقال صلى الله عليه وسلم : الكل سواء يعني في المعنى صلوات الله وسلامه عليه] وإنما أعلم .

وقد ذكر السهيلي في الروض الأنف لهذا التقديم والتأخير الذي وقع في كلامه صلى الله عليه وسلم في هذا البيت مناسبة أغرب فيها حاصلها شرف الأقرع بن حابس على عيينة بن بدر

الفزاري لأنه ارتد أيام الصديق **B** بخلاف ذاك و \exists أعلم وهكذا روى الأموي في مغازييه [أن رسول \exists صلى الله عليه وسلم جعل يمشي بين القتلى يوم بدر وهو يقول نفلق هاما] فيقول الصديق **B** متمما للبيت : .

(من رجال أعزه علينا ... وهم كانوا أعق وأظلماء) .

وهذا لبعض الشعراء العرب في قصيدة له وهي في الحماسة وقال الإمام أحمد : حدثنا هشيم : حدثنا مغيرة عن الشعبي عن عائشة **B**ها قالت : [كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استراث الخبر تمثل فيه ببيت طرفة : ويأتيك بالأخبار من لم تزود] - وهكذا رواه النسائي في اليوم والليلة من طريق إبراهيم بن مهاجر عن الشعبي عنها رواه الترمذى والنمسائى أيضا من حديث المقدام بن شريح بن هانئ عن أبيه عن عائشة **B**ها كذلك ثم قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا يوسف بن موسى حدثنا أسامة عن زائدة عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس **B**هما قال : [كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل من الأشعار : * ويأتوك بالأخبار من لم تزود *] ثم قال رواه غير زائدة عن سماك عن عطية عن عائشة **B**ها هذا في شعر طرفة بن العبد في معلقته المشهورة وهذا المذكور منها أوله : .

(ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا ... ويأتيك بالأخبار من لم تزود) .

(ويأتيك بالأخبار من لم تبع له ... بتاتا ولم تضرب له وقت موعد) .

وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة : قيل لعائشة **B**ها : هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر ؟ قالت **B**ها : كان أبغض الحديث إليه غير أنه صلى الله عليه وسلم كان يتمثل ببيت أخيبني قيس فيجعل أوله آخره وآخره أوله فقال أبو بكر **B**ه : ليس هذا هكذا يا رسول الله [فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني والله ما أنا بشاعر وما ينبغي لي] رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وهذا لفظه وقال معمراً عن قتادة : بلغني أن عائشة **B**ها سئلت : هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر ؟ فقالت **B**ها : لا إلا بيت طرفة .

(ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا ... ويأتيك بالأخبار من لم تزود) .

[فجعل **A** يقول : من لم تزود بالأخبار فقال أبو بكر : ليس هذا هكذا فقال **A** : إني لست بشاعر ولا ينبغي لي] وقال الحافظ أبو بكر البهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو حفص عمر بن أحمد بن نعيم وكيل المتنقي ببغداد حدثنا أبو محمد عبد الله بن هلال النحوي الضريري حدثنا علي بن عمرو الأننصاري حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن عروة عن عائشة . واحداً بيته إلا قط شعر بيت **A** رسول جمع ما : قالت **B**ها

(تفأله بما تهوى يكن فلقلما ... يقال لشيء كان إلا تحقق) .

سألتشيخنا الحافظ أبا الحجاج المزمي عن هذا الحديث فقال : هو منكر ولم يعرف شيخ

الحاكم و لا الضرير و ثبت في الصحيح أنه A تمثل يوم حفر الخندق بأبيات عبد الله بن رواحة . : فيقولون يحفرون وهم يرتجزون كانوا فإذا هم به أصحابه لقوله تبعاً ولكن هـ (لا هم لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا) .
(فأنزلن سكينة علينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا) .
(إن الألى قد بغوا علينا ... إذا أرادوا فتنة أبينا) .

ويرفع A صوته بقوله أبينا ويمدها وقد روى هذا بزحاف في الصحيحين أيضاً وكذلك ثبت [أنه . : العدو نحور في بها يقدم البغة راكب وهو حنين يوم قال A (أنا النبي لا كذب ... أنا ابن عبد المطلب)] .

لكن قالوا هذا وقع اتفاقاً من غير قصد لوزن شعر بل جرى على اللسان من غير قصد إليه وكذلك ما ثبت في الصحيحين عن جندي بن عبد الله هـ قال : [كنا مع رسول الله A في غار فنكبت أصبعه فقال A : .

(هل أنت إلا أصبع دمي ... وفي سبيل الله ما لقيت)] .
وسأليتني عند قوله تعالى { إلا لله } إنشاد : .
(إن تغفر لله تغفر جما ... وأي عبد لك ما ألم) .

وكل هذا لا ينافي كونه A ما علم شعراً وما ينبغي له فإن الله تعالى إنما علمه القرآن العظيم الذي { لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلقه تنزيل من حكيم حميد } وليس هو بشعر كما زعمه طائفة من جهلة كفار قريش ولا كهانة ولا مفتعل ولا سحر يؤثر كما تنوّع فيه أقوال الضلال وآراء الجهل وقد كانت سجنته A تأبى صناعة الشعر طبعاً وشرعها كما رواه أبو داود قال : حدثنا عبيد الله بن عمر حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا سعيد بن أبي أيوب حدثنا شرحبيل بن يزيد المعاوري عن عبد الرحمن بن رافع التنوخي قال : سمعت عبد الله بن عمرو تعلقت أو ترياقاً شربت أنا إن أويت ما أبالي ما : يقول A رسول سمعت] : يقول هـ تميمة أو قلت الشعر من قبل نفسي] تفرد به أبو داود .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن الأسود بن شيبان عن أبي نوفل قال : سألت عائشة هـ : هل كان رسول الله A بسائغ عنده الشعر ؟ فقالت : قد كان أبغض الحديث إليه وقال عن عائشة رضي عنها : كان رسول الله A يعجبه الجواب من الدعاء ويدع ما بين ذلك : وقال أبو داود : حدثنا أبو الوليد الطيالسي : حدثنا شعبة عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة هـ عن النبي A [لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً خيراً له من أن يمتلئ شعراً] انفرد به من هذا الوجه وإنساده على شرط الشيفيين ولم يخرجاً .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد حدثنا قزعنة بن سويد الباهلي عن عاصم بن مخلد عن أبي الأشعث الصناعي (ح) وحدثنا الأشيب فقال عن أبي عاصم عن أبي الأشعث عن شداد بن أوس هـ

قال : [قال رسول A : من قرئ بيت شعر بعد العشاء الآخرة لم تقبل له صلاة تلك الليلة] وهذا حديث غريب من هذا الوجه ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة والمراد بذلك نظمه لا إنشاده وإن أعلم على أن الشعر ما هو مشروع وهو هجاء المشركين الذي كان يتعاطاه شعراء الإسلام كحسان بن ثابت وعبد الله بن مالك وعبد الله بن رواحة وأمثالهم وأضرا بهم هم أجمعين ومنه ما فيه حكم ومواعظ وآداب كما يوجد في شعر جماعة من الجاهلية ومنهم أمية بن أبي الصلت الذي قال فيه رسول A : [آمن شعره وكفر قلبه] وقد أنسد بعض الصحابة هم للنبي A مائة بيت يقول عقب كل بيت [فيه] يعني يستطيعه فيزريده من ذلك وقد روى أبو داود من حديث أبي بن كعب وبريءه بن الحصيب وعبد الله بن عباس هم أن رسول A قال : [إن من البيان سحرا وإن من الشعر حكما] ولهذا قال تعالى : { وما علمناه الشعر } يعني محمدا A ما علمه A الشعر { وما ينبغي له } أي وما يصلح له { إن هو إلا ذكر وقرآن مبين } أي ما هذا الذي علمناه { إلا ذكر وقرآن مبين } أي بين واضح جلي لمن تأمله وتدبره ولهذا قال تعالى : { لينذر من كان حيا } أي لينذر هذا القرآن المبين كل حي على وجه الأرض كقوله : { لأنذركم به ومن بلغ } وقال جل وعلا : { ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده } وإنما ينتفع بنذارته من هو حي القلب مستنير البصيرة كما قال قتادة : حي القلب حي البصر وقال الضحاك يعني عاقلا { ويحق القول على الكافرين } أي هو رحمة للمؤمنين وجة على الكافرين